مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 25 عدد: 60 السنة: 2021

علم الكلام من مسار التقليد إلى استئناف التجديد

"العلامة شبلي النعماني مثالا"

Theology from the path of imitation to the resumption of renewal
"Allama Shibli Al-Nu'mani as an example"

د.زهير بن كتفي[1]
معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
zohbenketfi66@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/02/10 القبول 2021/03/26 النشر على الخط 2021/10/30
Received 10/02/2021 Accepted 26/03/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

يُعنى هذا البحث الموسوم بـ"علم الكلام من مسار التقليد إلى استئناف التجديد– العلامة شبلي النعماني مثالا" بمحاولة بيان الرؤية التجديدية لعلم الكلام عند شبلي النعماني، والتي تتجسد أساسا في محاولة إرساء ما يمكن البناء عليه والاستفادة منه في علم الكلام التقليدي وتجاوز ما لم يعد مفيدا من مسائل كانت لها ظروفها التاريخية، والتأكيد على ضرورة النظر إلى الواقع، واستدعاء قضايا العصر وتحدياته للمباحث الكلامية التي من شأنها أن تجيب عن إشكالات عالقة أو شبهات وتحديات مستجدة. وقد استخدمت المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي للتوصل إلى تصور واضح عن الموضوع. وخلص البحث إلى أن علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني يهدف تحديدا إلى بناء منظومة كلامية جديدة تستوعب مجموعة من القضايا الأخلاقية والاجتماعية والقانونية والحضارية الجديدة تمثل تحديا بالنسبة للمسلمين. وأن علم الكلام الجديد عنده لا يتعلق بـ"قطيعة معرفية" مع الموروث الكلامي التقليدي، وإنما هو استمرار وتواصل معه وأيضا استئناف وتجديد له.

الكلمات المفتاحية: شبلي النعماني – علم الكلام – التجديد – علم الكلام الجديد.

Abstract:

The research attempts to shed light on the renewed vision of Shebli Al-Nu'mani science of theology. While it basically attempts to establish what can be built and drawn on and bypass questions that are no longer useful despite their historical circumstances, it also stresses the need to look at reality, examine its problems, summon contemporary issues that challenge theological topics that would answer unresolved problems and mysteries or meet new and persistent challenges. To reach a clear perception of the topic, I have used an inductive, descriptive and analytical approach. The research concluded that the new Shebli Al-Nu'mani science of theology aims specifically at instituting a new theological system, covering a set of both contemporary and fresh scientific, ethical, social, legal and civilizational.

Keywords: Shebli Al-Nu'mani - Theology - Renewal - The New Science of Theology.

[1] المؤلّف المرسل: د. زهير بن كتفي البريد الإلكتروني: zohbenketfi66@gmail.com

مقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

يحتل علم الكلام مركزا أساسيا في صياغة الرؤية التوحيدية للعالم التي صارت أساسا لكل العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية؛ وقد ساهم بشكل كبير في نصرة العقيدة الإسلامية والذبّ عنها، كما مرّ بمراحل عديدة اتسمت باشتغال علماء الكلام فيها على موضوعات ومسائل متعددة إلى جانب انتهاجهم لمسالك وآليات منهجية خضعت أساسا لظروفهم المعرفية والواقعية في ذلك الوقت. كما أنه ظل على تلك الحال قرونا عديدة، مما نتج عنه قصور في تلبية حاجيات الإنسان المعاصر، فأدى هذا الوضع ببعض الدارسين والعلماء المهتمين بالدرس الكلامي في الإسلام إلى الدعوة إلى تجديد علم الكلام بحثا عما هو مواكب لمستجدات العصر وحاجاته المتجددة. ومن بين هؤلاء العلماء العلاّمة الهندي "شبلي النعماني" الذي يعد من الأوائل الذين دعوا وسعوا فعلا إلى تجديد علم الكلام والزج به في معترك الحياة المعاصرة. وقد جاء هذا البحث محاولة للتعرّف والتعريف بمحاولة شبلي النعماني التجديدية في علم الكلام.

ويبدو أن هذا البحث يكتسب أهميته من منطلق أن الرؤية التجديدية لعلم الكلام عند شبلي النعماني، كما سيتبين لنا ذلك لاحقا، جاءت أساسا لتستجيب للتحديات الواقعية التي تواجه العقل الإسلامي المعاصر، كما جاءت لتلبية حاجة المسلمين لاستيعاب ثقافة العصر، والابتعاد عن الخلافات، وإحداث الانسجام العقدي والمعرفي للفرد والمجتمع، وتحقيق نهضة الأمة الإسلامية.

وفي ظل البروز الواضح لمصطلح التجديد في علم الكلام في سماء الدراسات العقدية والفكرية المعاصرة، وما أصبح يثيره حاليا من سجال وجدل بين مختلف الباحثين المهتمين والمتخصصين في علم الكلام والفكر الفلسفي عموما، سأحاول التعريف في هذا البحث برؤية وموقف شبلي النعماني في دعوته إلى تجديد علم الكلام. وبناء عليه فإن الإشكالية الأساسية التي سيحاول هذا البحث الإجابة عنها تتمثل في التساؤل الآتي: ما الحدود الفاصلة بين مسار التقليد واستئناف التجديد في علم الكلام عند شبلي النعماني؟

ويجب التأكيد، في هذا الإطار، أن من بين الأهداف المحورية التي يسعى هذا البحث إلى تحقيقها هي:

– التعريف بالإسهام المعتبر والمتميّز وإلى حد بعيد للعلامة شبلي النعماني في مجال التأسيس للتجديد في علم الكلام وتدشين القول فيه، حيث أنه تناول العديد من المسائل المعرفية الكلامية الجديدة يستطيع أن يقف عليها كل من اطلع على مكتوباته الكثيرة.

– بيان أن تجديد علم الكلام لا بد أن يستند إلى المبادئ الدينية الثابتة، والتأكيد على الأبعاد الحقوقية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية والنفسية والحضارية للعقيدة الإسلامية كما حاول شبلي النعماني أن يطرحها في مشروعه التجديدي الكلامي.

– التعرّف على ملامح النظر التجديدي الكلامي، وتقدير أهميته في إطار علاقة درس العقيدة الإسلامية بالفكر المعاصر.

أما عن منهج البحث فيمكن القول أنّ طبيعة البحث فرضت عليّ استخدام منهج استقرائي، وصفي، وتحليلي. وهذا من منطلق أنني حاولت استقراء نصوص شبلي النعماني وآرائه الكلامية التجديدية في أهم مصادرها، إضافة إلى نصوص بعض المهتمين والدارسين لعلم الكلام الجديد. كما أنني حاولت إعمال المنهج الوصفي في التعريف بمصطلحات البحث عموما وفي تتبع نشأة

التجديد في علم الكلام ودواعي التجديد إضافة إلى التعريف بشبلي النعماني. أما المنهج التحليلي فقد جاء شاملا للبحث ككل، خاصة أنني حاولت من خلاله تفسير وشرح نصوص شبلي النعماني واستنباط ما يمكنه أن يخدم موضوعي بشكل مباشر.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة كما يأتي:

المقدمة: تضمنت أهمية البحث، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته العامة.

المطلب الأول: حاولت فيه تناول معنى تجديد علم الكلام؛ لما له من علاقة وظيفية وطيدة بعلم الكلام الجديد عند شبلي النعماني.

المطلب الثاني: تطرقت فيه إلى ترجمة موجزة لشبلي النعماني ودواعي التجديد الكلامي عنده.

المطلب الثالث: تحدثت فيه عن أهم المسائل التي ألحقها شبلي النعماني بعلم الكلام والتي تعبّر عن علم الكلام الجديد عنده.

الخاتمة: حاولت من خلالها أن أجيب عن إشكالية البحث، كما أنها اشتملت على أهم النتائج المتوصل إليها.

أولا: في معنى تجديد علم الكلام:

قبل العمل على محاولة إبراز أهم المعالم الأساسية التي سعى من خلالها شبلي النعماني إلى تجديد علم الكلام، يستحسن بنا أن نضبط جملة من التصورات خاصة فيما يتعلق بالمقصود من مصطلح "التجديد" عموما و"تجديد علم الكلام" خصوصا، وهل هناك فرق بين هذه المصطلحات المتداولة في الأدبيات الكلامية المعاصرة: "تجديد علم الكلام" و"علم الكلام الجديد" و"الكلام الجديد" كما هو مطروح عند الباحثين المختصين والمهتمين بالظاهرة التجديدية في الحقل الكلامي.

1. معنى التجديد:

1.1.التجديد في اللغة: يدل على تجدد الشيء، بمعنى أنه صار جديدا. وجدّد الشيء أي صيّره جديدا، كما في الصحاح للجوهري[1]. والجدّة هي نقيض البِلَى، فجدّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً: صار جديدًا، وهو نقيض الخَلَقِ[2] وهو القديم.

أما في القرآن الكريم فلم يأت لفظ التجديد، ولكن جاءت كلمة "جديد" كما في قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾**[الإسراء:49]. وكما نلاحظ هنا من خلال هذه الآية الكريمة، فإن استعمال القرآن الكريم للكلمة يفيد بعث الشيء وإحيائه بعد أن درس وبلى. وهو المعنى اللغوي نفسه[3].

ويمكن أن نستنتج من المعنى اللغوي أن "التجديد" يتضمن ما يأتي[4]:

---

[1]- الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، بيروت، دار العلم للملايين 1984م، ج2، ص454.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج3، ص111.

[3]- بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط2، المملكة العربية السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث 2012، ص 14. أحمد الجلي: "التطور والتجديد في دراسات العقيدة الإسلامية"، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي،12-14 ربيع الثاني 1422هـ/3-5 جويلية 2001، جامعة اليرموك، إربد 1425هـ/2004، ص208.

[4]- أحلام مطالقة وآخرون :"تجديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 28 العدد5، 2014، ص1178.

– الإزالة: بحيث أننا نعمد إلى إزالة التراكمات المفهومية والأفكار الخاطئة والمضلّلة التي التصقت بالقديم وعملت على تشويهه، فأدت إلى جعله باليا، ونعمل على العودة به إلى جِدّته ونصاعته كما كان في أول سيرته.

– الإحياء: حيث أن القديم قد يندرس ويندثر مما يفضي إلى الاستخفاف به والزهد فيه وهجرانه. فيكون تجديده بإعادة بعثه وإحيائه ليعود إلى بياضه ووضوحه كما كان في أول ظهوره.

وبالنظر إلى هذين المعنيين المتضمّنين، فيمكن القول بأن التجديد في المعنى اللغوي هو إعادة الشيء إلى سيرته الأولى بعد أن طرأ عليه ما غيّره وأبلاه.

وعلاوة على هذين المتضمّنين يمكن أن نضيف متضمّنا آخر لمعنى التجديد في اللغة وهو: الإضافة إلى القديم، بحيث أن التجديد لا يفضي إلى إلغاء القديم أو محاولة إحداث قطيعة تامة وحاسمة معه، بل يعني تحسينه وتجويده بأن يضاف إليه ما يحقق أهدافه.

2.1.التجديد اصطلاحا: وفي الواقع فإن مفهوم التجديد يُطرح في المجال التداولي الإسلامي، باعتباره مفهوما أصيلا، وردت الإشارة إليه والتنويه به والثناء على فاعليه في حديث نبوي شريف رواه أبوداود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِ مَائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدّدُ لَهَا دِينَهَا**"[1]. وفي هذا السياق جاءت تعريفات العلماء والباحثين له، لتحاول أن تشمل جملة من الجوانب الأساسية التي تحدد الماهية الاصطلاحية للتجديد انطلاقا من اللغة العربية، ومن خلال معنى الحديث النبوي الشريف. ومن هذه التعريفات ما يأتي:

– اعتبار أن التجديد هو إحياء ما انطمس من معالم الدين والدعوة إلى العمل بها. جاء في "فيض القدير" التجديد هو: "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"[2]. وفي المساق نفسه يقول أبو الأعلى المودودي: "المجدد هو كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه"[3].

– اعتبار أن التجديد هو بيان السنة من البدعة، والعمل على العودة إلى السنة الصحيحة ودفع البدع والمحدثات وأهلها. يقول المناوي في معرض حديثه عن تجديد الدين: "أي يبيّن السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدع ويذلهم"[4]. ويقول يوسف القرضاوي: "وكذلك الدين لا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به حيث كان، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان"[5]. ويذهب عمر عبيد حسنة إلى القول في هذا الإطار: التجديد هو:"إعادة

[1]– أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة، حديث رقم4291، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، دمشق، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م، ج4، ص106.

[2]– المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية 1422هـ– 2001م، ج2، ص357،هامش رقم1.

[3]– أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ط2، بيروت، دار الفكر الحديث 1967، ص13.

[4]– المناوي، فيض القدير، ج2، ص 357.

[5]– يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة، ط1، القاهرة، دار الشروق 2001، ص30.

المعايرة للواقع والتقويم له، بقيم الكتاب والسنة، ومحاولة تصويبه، والعودة بمساره ومجراه إلى الينابيع الأولى، وتغيير الحال الذي توضّع عليه، وانتهى إليه بسبب الألف واستقرار العادات والتقاليد، وتغلب سلطان التقاليد على فاعلية التعاليم"[1].

– اعتبار التجديد هو تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدّ من وقائع وأحداث، ومعالجتها انطلاقا من الوحي. يقول عمر عبيد حسنة: "ليس المراد بالتجديد والاجتهاد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد هو الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي"[2]. ويذهب محمد عويضة إلى أن التجديد هو: "إحياء رسالة الإسلام في النفوس وفي المجتمعات، وتقديمه بصورة معاصرة تتطلب استيعاب كل معطيات العصر وحاجاته"[3].

ويستخلص مما سبق من التعريفات، أنه يمكننا فهم التجديد بأنه: "إعادة بعث"، بمعنى إحياء الأمور الجوهرية في الدين التي أهملها الناس أو اندرست لقلة التداول أو الممارسة. و"تخليص"، أي تخليص الدين مما علق به من بدع وشوائب وانحرافات في فهوم المسلمين. و"مواكبة"، بإنزال الدين وتطبيقه في واقع الحياة وتوثيق صلته بالعصر ومستجداته.

إذا كان هذا عن مفهوم التجديد، فما المقصود بالتجديد في علم الكلام؟

2. معنى التجديد في علم الكلام:

علم الكلام على العموم، هو علم يبحث في العقائد الإسلامية أو مسائل أصول الدين، وإثباتها بالأدلة النقلية والعقلية، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها ودفعها بالحجج والبراهين. وهو التعريف الذي استقرت عليه مضامين مجموع التعريفات التي عُرّف بها علم الكلام، وذلك في إطار السياقات المؤدية إلى تمايز العلوم وتخصصها، وهي السياقات ذاتها التي فرضت تسميات متعدّدة عليه، حيث سمّي بأصول الدين في مقابل فروعه، وسمي الفقه الأكبر في مقابل الفقه الأصغر، وسمّي بعلم التوحيد باعتبار المسألة الرئيسة فيه، كما أطلق عليه اسم علم النّظر والاستدلال. وقد عرّفه ابن خلدون بقوله: "علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنّة"[4].

وقد جاء معنى تجديد علم الكلام برؤى متعددة، ومفاهيم متفاوتة المستوى في النظر والغاية.

– حيث يرى بعض الباحثين أن المقصود بتجديد علم الكلام هو: "تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة، ويجيب عن الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي"[5].

– ويذهب محمد عمارة إلى القول بأن: "الكلام الجديد –في رأيي–هو ذلك الذي يخلص وينقي العقيدة الإسلامية –أصول الدين– من "شغب" المتكلمين القدماء، الذي كان مبعثه التعصب المذهبي أكثر من الاختلاف الحقيقي(...). هو الذي يتجاوز مقولات الغلاة، الذين بادت أغلب فرقهم، حتى لا يغرق العقل المسلم في مقولات شاذة لم يعد هناك مبرر لاستعادتها إلا لدارسي تاريخ

---

[1]– عمر عبيد حسنة، رؤية في منهجية التغيير، ط1، بيروت–دمشق، المكتب الإسلامي 1414هـ–1994م، ص36.

[2]– عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي 1988، ص20.

[3]– محمد عويضة: "التجديد في مجال الدراسات الحديثية"، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي،12–14 ربيع الثاني 1422هـ/3–5 جويلية 2001، جامعة اليرموك، إربد–الأردن 1425هـ/2004، ص130.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي، ط3، دار نهضة مصر (د.ت)، ج3، ص1069.

[5]– محمد خير حسن العمري: "علم الكلام بين الأصالة والتجديد"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 3/أ، 1430هـ–2009م، ص243.

علم الكلام. هو العلم الذي يدخل في أدلة الإثبات للعقائد الإسلامية، الإنجازات العلمية الكونية التي أنجزتها الإنسانية منذ النهضة الأوروبية الحديثة، (حقائق كتاب الله المنظور) دليلا على عقائد كتاب الله المسطور (وجود الله) سبحانه وتعالى، وكمالات صفاته وأفعاله، والنبوة والرسالة والوحي والمعجزات..الخ. وذلك بدلا من التوظيف الغربي –الوضعي والمادي–لحقائق هذا العلم الكوني في الثورة على العقائد الدينية، والصياح المنكر بموت الإله. وهو العلم الذي يقدم –باكتشافه اتساع الأرض الفكرية المشتركة بين المذاهب الكلامية–للأمة الإسلامية دعما لوحدتها التي هي في أمس الحاجة إليها لمواجهة مخاطر الهيمنة الغربية على هوية الأمة(...). وهو –أخيراً وليس آخراً–العلم الذي يخلّص فلسفة الأمة –بالوسطية الإسلامية–من "الثنائيات المتناقضة" التي أفرزها وغرق فيها أهل الجمود والتقليد وأهل التغريب جميعا"[1].

ويعرف عبد الجبار الرفاعي التجديد في علم الكلام عموما بأنه: "هو محاولة للاجتهاد في علم الكلام اليوم، كما اجتهد مؤسسو الفرق الكلامية في الماضي، فدونوا تصوراتهم ومفاهيمهم لأصول الدين المشتقة من عقلانية وعلوم ومعارف عصرهم، فيجتهد بذلك علماء الإسلام في عصرنا لإنتاج تصوراتهم في التوحيد والمعتقدات"[2]. ولكن بأي منظور وتحت أي مفهوم يكون هذا التجديد؟

يجيب عبد الجبار الرفاعي أن المطلوب من التجديد في علم الكلام هو تحديث الهندسة المعرفية لعلم الكلام، وذلك بأن يطال التجديد الجوانب الآتية: المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني. ويعتبر الرفاعي أن هذا المفهوم للتجديد يعتبر من أحسن التصورات التي وصفت التجديد في علم الكلام[3].

بل إن عبد الجبار الرفاعي يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو يحاول أن يضع ضوابط منهجية، ومعيارا على أساسه يمكنه تصنيف "الكلام الجديد" والتفريق بين "المتكلم الجديد" و"المتكلم القديم". هذا المعيار يقوم على أن "المتكلم الجديد" هو الذي يقدم تفسيرا وفهما خارجا عن إطار الكلام القديم لـ"ظاهرة" الوحي، كما يجب أن يصفه، من منطلق أن الوحي، كما يرى، يمثل الأساس والأصل الميتافيزيقي للرسالة النبوية. فإذا كان مفهوم الوحي عند من يكتب ويفكر في الكلام الجديد هو نفس المفهوم التقليدي الموروث في الكلام التقليدي، فهذا في نظره لا يعد متكلما جديدا[4].

فالمتكلم الجديد الذي يتحدث عنه عبد الجبار الرفاعي هو متكلم يؤمن بالوحي أساساً، ولكن يقدم فهما للوحي، هذا الفهم لا يكون فيه دور النبي صلى الله عليه وسلم سلبياً؛ يعني مجرد متلقٍ، وإنما هو متلقٍ للوحي وأيضا تظهر بصمته فيه. بمعنى أن كل المشروطية اللّغوية والثقافية والاجتماعية والشخصية وحتى الجغرافية والمحلية تنعكس على الوحي. ويؤكد الرفاعي أن هذا واضح في القرآن الكريم الذي هو مرآة تظهر فيها صورة الله تعالى، وتظهر فيها أيضا صورة النبي صلى الله عليه وسلم. ومن خلال ذلك يقول الرفاعي ندرك البعد "المحلي" في القرآن الكريم الذي يعكس بيئة الجزيرة العربية ومناخها وطبيعتها وتقويمها القمري وثقافتها، ونباتاتها،

[1]– محمد عمارة: "الاجتهاد الكلامي، حوار مع الدكتور محمد عمارة"، ضمن كتاب، عبد الجبار الرفاعي، مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، (د.ط)، بيروت، دار الهادي، (د.ت)، ص122–123.

[2]– عبد الجبار الرفاعي: "علم الكلام الجديد وإشكالية التسمية"، موقع حفريات، نشر يوم 08/ 09/ 2019، https://www.hafryat.com

[3]– عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين 2016، ص 43.

[4]– عبد الجبار الرفاعي: "ما نعنيه بالكلام الجديد والمتكلم الجديد"، محاضرة في: "سمينار" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة يوم الأربعاء 4 نوفمبر 2020. Dohainstitue.org/ar/events/pages/Abduljabbar-Alrifai-Lecture-in-Arab-centre-seminer.aspx.

وحيواناتها وواقعها، ويعكس أيضا شخصية النبي صلى الله عليه وسلم. ذلك هو الكلام الجديد والمتكلم الجديد في نظر الرفاعي. وبغض النظر عن مناقشة هذا الرأي لمفهوم الكلام الجديد والمتكلم الجديد، لأنه ليس محله هذا البحث، فإن هذا الرأي يعطي الانطباع الغالب على فهم مطروح بقوة لمفهوم التجديد في العلم الكلام يتبناه الكثير من المهتمين بالدرس الكلامي المعاصر.

إذاً فمفهوم التجديد في علم الكلام عند المهتمين والباحثين فيه عموما ومن خلال ما تقدم، يتراوح بين رؤيتين مختلفتين: **الأولى**: تذهب إلى أن تجديد علم الكلام لا يعني سوى إلحاق المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام، فمتى انضمت مسائل أخرى تجدد هذا العلم، وبهذا المفهوم، فإن التجديد هنا يعتبر استئنافا واستمرارا مع نوع من القطيعة. **والثانية**: ترى مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضم مسائل جديدة فحسب، وإنما يتسع ليشمل التجديد في المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة والمباني، بل الهندسة المعرفية للكلام جملة وتفصيلا. وبهذا المفهوم، فإن التجديد هنا يعتبر قطيعة كبرى مع القديم.

وانطلاقا من هذا، أين يقع استئناف النظر في التجديد الكلامي الذي دعا إليه الشيخ شبلي النعماني الذي يعتبر أول من دعا إلى هذا التجديد؟

ثانيا: شلبي النعماني ودواعي تجديد علم الكلام عنده

1. من هو شبلي النعماني؟

يعدّ شبلي النعماني (1273هـ/1857م-1332هـ/1914م) المولود في قرية "بندول" إحدى قرى ولاية "أترابراديش" شمالي الهند[1] -والذي أضاف "النعماني" لاسمه ليعبّر عن انتسابه إلى مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه[2]-من أبرز العلماء والشخصيات في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، فقد كان كاتبا للسيرة ومؤرخا إسلاميا ومتكلّما وشاعرا وناقدا ومصلحا اجتماعيا بالإضافة إلى دوره الرائد في الحركة الفكرية الإصلاحية والاجتماعية والثقافية في الهند.

نشأ شبلي النعماني في بيئة علمية واعية تحت كنف والده حبيب الله، وتتلمذ على عدد من المشايخ والأساتذة الذين ينتمون إلى مدارس فكرية متنوعة، فتعلّم قراءة القرآن الكريم ومبادئ اللغة الفارسية في قريته، وقد اطلع على التيار الثقافي الجديد والحضارة الغربية الحديثة، فوقفه على اكتساب العلوم والمعارف الدينية، والفنون اللغوية والأدبية والعقلية القديمة، وكان خبيرا بالآراء والأفكار والثقافات الحديثة، وجمع بين القديم والحديث[3].

اشتغل بالتدريس والتعليم منذ البداية، وقد شغلته قضية التعليم والمدارس العربية وإصلاح المناهج وتطوير التعليم، وتعدى اهتمام شبلي بهذه القضية حدود الهند إلى الدول الإسلامية التي زارها كمصر وتركيا وبيروت. فاهتم بزيارة المدارس والكليات والمكتبات، وحرص على إجراء مناقشات طويلة مع رموز الفكر والتعليم في مصر خاصة، كما اهتم بقضية تطوير التعليم في الأزهر[4].

---

[1]- محمد أكرم النّدوي، شبلي النعماني علاّمة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب، ط1، دمشق،دار القلم،1422هـ/ 2001م، ص18.

[2]- المرجع نفسه، ص21.

[3]- المرجع نفسه، ص22.

[4]- المرجع السابق، ص51.

وكان لهذه الرحلات آثارا بعيدة المدى، ساعدت في تدعيم رأيه بأن المسلمين يحتاجون إلى منهاج دراسي جديد يجمع بين العلوم القديمة والعلوم الحديثة جمعاً متزنا عادلا، فإنّ القديم وحده لن يساير الزمان، وإنَّ الحديث وحده يفصل المرء عن الدين والإيمان[1].

وشارك العلامة شبلي في الكثير من النّدوات والمؤتمرات، كما كان له إسهام كبير في إقامة المدارس والجامعات والمكتبات والمجامع العلمية. وقام بإنشاء جامعة إسلامية للمسلمين في الهند، وقام بإنشاء مدرسة شبلي ومدرسة الإصلاح في "أعظم أكره"، وأسهم في تأسيس ندوة العلماء في لكنهو ودار المصنفين[2].

وقد ترك لنا شبلي النعماني ثروة فكرية ضخمة تنوعت موضوعاتها واللغات التي كتبت بها، فكتب في السير والتراجم وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والسيرة والنقد والشعر والرحلات، إلى جانب مقالاته في المجلات والصحف والتي تضم موضوعات سياسية واجتماعية وأدبية شتى، وكتب شبلي هذه المؤلفات بثلاث لغات هي: الأردية والفارسية والعربية[3].

ومن أبرز آثار شبلي النعماني كتابا بعنوان: "علم الكلام الجديد"، الذي نشره في الهند سنة 1904م[4]. ويعتبر هذا الكتاب في حد ذاته مشروعا للتجديد في علم الكلام، وقد كان الحافز على كتابته في علم الكلام ودعوته إلى التجديد فيه جملة من البواعث والدواعي سنحاول أن نتطرق إليها فيما يأتي.

2. بواعث دعوة شبلي النعماني إلى تجديد علم الكلام:

يمكن القول عموما أن ظهور الدعوة إلى تجديد علم الكلام كانت تقريبا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. ويبدو أنها قد انتظمت في بداياتها بصورة غير "متخصصة"، إن صحّ التعبير، في بدايات النهضة في دعوات الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي التي نادت فيما نادت بضرورة تجديد الدرس العقدي في الإسلام، ببعث شعاب الإيمان الساكنة في النفوس، عبر التذكير بأصول الدين والموعظة بوازعه ودافعه، وإيقاظ الفكر من حالة السبات، والدعوة لإصلاح الأفكار الفاسدة، وإن كانت بمستويات مختلفة.

ويبدو لي هنا أن من أهم البواعث الأساسية التي دفعت شبلي النعماني إلى محاولة تجديد علم الكلام، باعثان اثنان: باعث داخلي وباعث خارجي يتمثل في التحديات المعاصرة التي كانت تواجه الإسلام.

1.2. **الباعث الداخلي:** ويتعلق رأسا بالبناء الموضوعي والمنهجي لعلم الكلام القديم نفسه؛ حيث يذهب شبلي النعماني إلى أننا اليوم بإزاء مئات الآلاف من الحواشي التي ارتبطت بعلم الكلام مع امتداد العصور، وقد ذهبت هذه الحواشي بالبساطة والوضوح التام الذي لا لبس فيه لعقيدة الإسلام، ثم أن مجموع هذه المسائل الحواشي لو حاولت تلقينها للصحابة رضي الله عنهم في القرن الأول ما فهمومها. ومن مثل هذه المسائل يذكر النعماني مسألة: هل القرآن الكريم مخلوق أم قديم؟ والصفات الإلهية عين الذات أم

---

[1]- المرجع السابق، ص53، 98-100، 107.

[2]- المرجع السابق، ص 118 وما بعدها.

[3]- راجع المزيد من التفاصيل حول حياته في المرجع السابق.

[4]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة 2012م، ص 8-9. محمد أكرم النّدوي، شبلي النعماني، ص 44-45.

غير ذلك؟ والأعمال هل هي جزء من الإيمان أم خارجة عنه؟ ويرى أنه لم يكن الإسلام في عهده الأول يعلم شيئا عن تلك المسائل ولكنها أُقرّت كحد فاصل بين الكفر والإسلام في العصور التالية. أضف إلى ذلك، كما يرى، أن مثل هذه المسائل أثارت الكثير من الفتن والحروب الكلامية. ومن هذا المنطلق يبدو أنه لا طائل من الوقوف معها كثيرا في علم الكلام الجديد، ولكن مادامت قد صارت مرتبطة بعلم الكلام وأنه لا مفر من ذكرها نفيا أو إثباتا، فإن المسلك المنهجي، في إطار التأسيس لعلم الكلام الجديد، يوجب تناولها بالبحث من جانبين: الجانب الأول تحديد نوعية تلك المسائل، والجانب الثاني البحث في مدى الارتباط الحقيقي لتلك المسائل بعلم الكلام[1]. فهذا التناول المنهجي هو الكفيل وحده بجعل علم الكلام الجديد مرتبطا بالمشكلات الواقعية ومحاولة معالجتها وحل إشكالاتها.

2.2. الباعث الخارجي: وحينما نتحدث هنا عن الحيثيات الخارجية التي دعت إلى التجديد الكلامي عند شبلي النعماني رحمه الله تعالى تخصيصا، فلا بد أن نشير إلى تزامن ذلك بالعدوان الاستعماري الأوروبي على البلدان الإسلامية مع الغزو الفكري لها؛ حيث راح الغربيون يُشككون في المعتقدات الإسلامية، ويطعنون في الفقه الإسلامي والتاريخ الإسلامي والنواحي الأخرى من الثقافة الإسلامية. ويظهر أن المستشرقين تحديدا كان لهم دور فاعل في تكوين هذا الجوّ العام؛ نتيجة الانتقادات الحادّة التي وجَّهوها إلى كافة مرافق الفكر الإسلامي، ولاسَّيما السنّة النبوية الشريفة[2]. حيث أخذوا أولا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأوردوا عليها اعتراضاتهم وشبهاتهم، ثم استهدفوا الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، وعموما تاريخ الحضارة الإسلامية ككل، فشوهوا صورة مآثر الإسلام الاجتماعية والسياسية والمدنية[3]. فكان ذلك سببا في الدعوة إلى تجديد علم الكلام، في حالة العلامة النعماني على الأقل.

ففي شبه القارة الهندية قام عدد من العلماء المسلمين بهذا الدور العظيم، ويظهر أن العلامة النعماني يعتبر من أوائل العلماء في الهند الذين انتبهوا إلى دسائس جانب من المستشرقين الحاقدين على الإسلام والناقمين على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جعل يردّهم على طريقتهم ويثبت أن الإسلام قد زاد حضارة العالم وثقافته أضعافا مضاعفة[4]. ومما يجب التنويه به بهذا الصدد أن شبلي النعماني يكون قد اطلع على مؤلفاتهم اطلاعا عميقا، ويشهد على ذلك أنه ذكر في كتابه "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" قائمة لمؤلفاتهم بلغ عددها سبعة وثلاثين كتاباً في زمانه، وتمكن من تكوين جبهة قوية للرّد على الأعمال الاستشراقية المعادية للدين الإسلامي ككل. وقد قام في الإطار نفسه وفي نفس اتجاه الرد على الاستشراق، ولكن بمسلك مخالف نوعا ما، بنشر سلسلة مشاهير الإسلام؛ حيث اعتبر هذا العمل مضافا إلى الردود المباشرة على الاستشراق، أفضل وسيلة للردّ على الأباطيل الاستشراقية عن الإسلام من جهة، وإعادة إحضار التاريخ الإسلامي المشرق في وعي العقل المسلم الحديث من أجل نهضة جديدة، من جهة أخرى، فأخرج منها: "المأمون" العام1887م، و"النعمان"، سيرة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه العام1891م، و"الفاروق"، سيرة

---

[1]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص304-305.

[2]- محمد أكرم النّدوي، شبلي النعماني، ص 44. حيدر حب الله: "علم الكلام الجديد قراءة أولية"، ضمن كتاب، علم الكلام ضرورات النهضة ودواعي التجديد، ط1، بيروت، مجلة الحياة الطيبة 2004م، ص 64-65.

[3]- ظفر أحمد الصديقي:"العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام"، مجلة الهند، الجزء الأول للعدد الخاص بمناسبة مرور مئة عام على وفاة العلامة شبلي النعماني، مج3، الأعداد:1-4، يناير-ديسمبر 2014م، تصدر عن: مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية، ص215.

[4]- ظفر أحمد الصديقي:"العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام"، ص216.

الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه العام1898م، و"الغزالي" العام1901م، و"سوانح مولانا رومي"، عن جلال الدين الرومي العام1902م، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة1911م[1]. فكل من هذه المكتوبات إما ظهرت رداً على الاعتراضات التي أثارها الغربيون، أو تصويراً لماضي المسلمين كمدخل لإعادة ثقتهم بتاريخهم الحضاري والمدني الديني والملي[2].

3. شبلي النعماني بين التاريخ وعلم الكلام:

وفي هذا السياق فإن السؤال الذي يمكن طرحه هنا: ما علاقة هذه المآثر التاريخية بموضوع التجديد في علم الكلام؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار شبلي النعماني متكلماً؟

يذهب بعض الباحثين إلى أنه بالرغم من تعدد الموضوعات التي كتب فيها النعماني، إلا أن الموضوع المركزي عنده في جملة مكتوباته هو "التاريخ". ويذهب آخرون إلى القول إذا كان صحيحا أن النعماني كتب في الكلام فإنه لم يكن ليكتب فيه لولا كتابته في التاريخ. ومن هنا يمكن اعتباره قد "تسلل" إلى مجال الكلام عن طريق مجال معرفي أوسع وهو التاريخ، حيث جاءت كتاباته عن علم الكلام عرضية في سياق "التأريخ" الذي انتهجه كموضوع أساسي ومحوري في كتاباته[3]. في مقابل ذلك يذهب الباحث ظفر أحمد صديقي إلى أن العلامة النعماني كان، في الحقيقة، متكلما، "وأن مجاله الخاص لم يكن التاريخ بل كان ميدانه المخصّص هو علم الكلام؛ فهو كان متكلما أكثر من كونه مؤرخا ولكن جانبه التاريخي يبدو غالبا على جانبه الكلامي لأن معظم كتاباته عن التاريخ أو أقرب إلى التاريخ أو أخذت موادّها من التاريخ، والحال أنه قد استخدم التاريخ، بكل مهارة وحذاقة، كذريعة لعلم الكلام في كل مكان من مؤلفاته"[4].

وفي واقع الأمر فإن الناظر في تراث شبلي النعماني يمكن أن يذهب إلى أنه كان منشئاً فذا في كل موضوع تحدث عنه. ولعلّ محاولته للكتابة عن أبي حامد الغزالي تؤكد توجهه إلى علم الكلام؛ وكما تصدى حجة الإسلام الغزالي للوافد الفكري اليوناني في عصره، كذلك تصدى العلامة شبلي للوافد الفكري الغربي في عصره. كما حاول كل منهما البحث في العلاقة بين الدين والفلسفة والعلوم. أضف إلى ذلك اهتمام النعماني بالمعتزلة، الذين دوّن عنهم بعض المقالات[5].

ولكن دعنا نقرأ ما كتبه شبلي النعماني، وكأنه يريد أن يفك هذا التشابك بين جانب المؤرخ، في شخصه، وبين جانب المتكلم، حيث يقول: "كانت الحاجة إلى السيرة في العصر الماضي، ترتبط بالتاريخ وتدوين الأحداث، ولم يكن لها علاقة بعلم الكلام. ويقول المعترضون: لو أن الدين هو إقرار فقط بالله تعالى إذن يُكتفى بالبحث هنا فقط. ولكن الإقرار بالنبوة جزء من الدين، فيجب

---

[1]– صاحب عالم الأعظمي: "دراسة موقف شبلي النعماني من المستشرقين في ضوء كتابه: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم"، مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها، عدد 45، 1422هـ، الشركة السعودية للتوزيع، ص18.

[2]– ظفر أحمد الصديقي: " العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام "، ص217.

[3]– رياض الرحمن الشيرواني: "العلامة شبلي النعماني–لمحة عن حياته ودراسة لخدماته"، مقال ترجمه من الأردية: أورنك زيب الأعظمي، نشر في موقع " نداء الهند" في 2017/05. تم تصفحه: يوم 2020/11/27، الساعة: 22:21. www.nidaulhind.com/2017/05/shiblee.html. أنظر أيضا: ظفر أحمد الصديقي: "العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام"، ص195 وما بعدها.

[4]– ظفر أحمد الصديقي: "العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام"، ص195.

[5]– رياض الرحمن الشيرواني : "العلامة شبلي النعماني–لمحة عن حياته ودراسة لخدماته"، (مرجع سابق).

البحث في أحوال وأخلاق وعادات ذلك الإنسان الذي كان حاملا للوحي وسفيراً إلهيا صلى الله عليه وسلم؟ إن الصورة الأخلاقية التي قدمها مؤرخو أوروبا عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيض بأنواع مختلفة من العيوب والافتراءات. واليوم حالت المتطلبات الحديثة للمسلمين من تعلم العلوم العربية والاطلاع عليها، ولذا فإنه حين يرغب هذا الجيل من المسلمين في التعرف على سيرة وشخصية نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فيضطر إلى الرجوع إلى مؤلفات هؤلاء الأوروبيين، وبهذا تؤثر فيهم هذه المعلومات المسمّمة تدريجيا، ولا علم للناس بهذا، حتى ظهر جيل في الأمة يعتقد في أن النبي صلى الله عليه وسلم مصلح فقط، وإذا قام بأي عمل إصلاحي في المجتمع. وكانت هذه هي الأسباب التي جعلتني اهتم بتأليف كتاب مفصل في عن السيرة النبوية"[1].

وكما نلاحظ من النص الذي بين أيدينا، فإن شبلي النعماني يبرز لنا وجه الحاجة إلى إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة من جهة علم الكلام، أي في إطار الدفاع عن العقيدة الإسلامية. ويمكن القول بهذا الصدد أن إعادة كتابة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في سياق الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الشبهات الحديثة، هو نوع من الممارسة الكلامية بامتياز، ولا تعني بالضرورة الحقل المعرفي التاريخي بعينه.

ويذهب العلامة شبلي النعماني، فضلا عن دواعي الاستشراق، إلى التأكيد على أن التحديات والشبهات الحديثة المثارة حول العقيدة الإسلامية في العصر الحديث هي أخطر من تلك التي رد عليها المتكلمون القدامى، يقول: "لقد كانت المخاطر التي واجهت الإسلام في زمن الدولة العباسية لا تقارن بمثيلتها في العصر الحاضر"[2]. وبهذا الصدد يوضح النعماني ملحظاً في تاريخ علم الكلام، هو في الحقيقة جدير بالنظر، حيث يعتبر أن مسمّى علم الكلام يطلق على قسمين من المسائل تمّ الخلط بل والمماهاة بينهما ردحا من الزمن، ولم يميّز بينهما الكثير من المهتمين بالتأريخ له: قسم كانت دوافع نشأته النزاع والصراع الذي دار بين الفرق الإسلامية، وقد انتشر هذا القسم على نطاق واسع لفترة من الزمن، وظلت الكثير من المعارك الكلامية محتدمة في إطاره حتى أنها وصلت إلى إعمال السيف مما أدى إلى حدوث مأساة بالقوة الإسلامية. وقسم كانت دوافع نشأته مجابهة الوافد الخارجي وهو الفلسفة اليونانية. ويرى بأن هذين القسمين ظلا منفردين حتى في الأهداف والغاية، كل واحد على حدة إلى أن أتى أبو حامد الغزالي فجمع بينهما، ثم طورهما الإمام فخر الدين الرازي(ت606هـ) من بعده. وحتى وإن كان لا يمكن أن يُسلم لشبلي النعماني بهذا الملحظ على إطلاقه، إلا أن النعماني، ومن هذا "الواقع التاريخي" لعلم الكلام ومحاولة مقاربته بالواقع الراهن للمسلمين، انتهى إلى أن المسلمين اليوم يتوجب عليهم الاهتمام بالقسم الثاني من علم الكلام، وأن لا يلتفوا إلى القسم الأول إلا في حدود ما يخدم القسم الثاني[3].

وإذاً فإن التحديات الوافدة من الغرب على العقيدة الإسلامية، والشكوك والشبهات الحديثة التي أثارها المستشرقون وأعداء الإسلام عموما حول جملة من القضايا التشريعية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية في الإسلام، كانت من بين أهم الدوافع التي أدت بشبلي النعماني إلى مناداته بضرورة التجديد في علم الكلام، ليصطلح في نهاية المطاف على هذه الدعوة التجديدية بـ"علم الكلام الجديد".

---

[1]- شبلي النعماني، دائرة معارف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة: يوسف عامر،(د.ط)،(د،ت)،ج1،ص 37-38.

[2]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص16.

[3]- المصدر نفسه، ص21.

يقول رحمه الله تعالى: "لقد كان علم الكلام القديم منصبا فقط على بحث العقائد الإسلامية؛ لأن المخالفين في ذلك العهد كانت اعتراضاتهم تتعلق بالعقائد، ولكن في الوقت الحاضر يبحث في الجوانب التاريخية والحضارية والأخلاقية للدين. إن عقائد أي دين عند الأوربيين لا تكون جديرة بالاعتراض إلى هذا الحد ما لم تكن هذه المسائل قانونية وأخلاقية، وفي رأيهم أن إباحة تعدد الزوجات والطلاق والرق والجهاد في أي دين لهو أكبر دليل على بطلان هذا الدين، بناء على هذا سيتم بحث هذا النوع من المسائل في علم الكلام، وهذا الجزء بالكامل عن علم الكلام الجديد"[1].

وقد حاول شبلي النّعماني فعلاً في كتابه هذا ألا يكتفي بالمباحث التقليدية في العقيدة وأن يلتفت إلى الجوانب التاريخيّة والأخلاقيّة والحضاريّة، وتحديد علائقها بالعقيدة، حيث أدرج في هذا الكتاب مسائل جديدة مثل: حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، بجوار مباحث وجود الباري تعالى، والنبوة، والمعاد، والتأويل والغيبيات والسمعيات، كالملائكة والوحي وغيرها والعلاقة بين الدين والدنيا.

وللإشارة فقد تمت ترجمة كتابه هذا إلى اللغة الفارسية من طرف محمد تقي فخر داعي الكيلاني، وطبع في طهران عام 1950م بالعنوان نفسه، ولقي اهتماما كبيرا من الباحثين الإيرانيين أفضى إلى قيام ما يمكن تسميته بـ"مدرسة الكلام الجديد بإيران"، وهي في الواقع تستحق بحثا مستقلا بحد ذاته.

وسواء كان العلامة شبلي النعماني هو أول من أطلق هذا المصطلح "علم الكلام الجديد" أم العالم التركي إسماعيل حقي الإزميرلي (1868-1914م)، الذي ألف كتابا بالعنوان نفسه غير أنه لم يترجم بعد إلى اللغة العربية[2]، فيبدو أن هدف العلامة شبلي النعماني لم ينته إلى أن ينحصر في تأليف كتاب، ولكنه تعداه إلى العمل في حياته على إعداد جيلا من العلماء يواصل جهاده ونضاله من بعده في سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية، جيلا يفي بهذه الحاجة الجديدة للإسلام في هذا العهد الحديث[3].

ثالثا: مسائل التجديد الكلامي عند شبلي النعماني:

تأتي محاولة شبلي النعماني هذه لتعلن صراحة عن استئناف النظر في علم الكلام برؤية تجديدية في إطار قراءة واعية للواقع الفكري والراهن الحضاري الذي يعيش فيه المسلمون. فلا يتعلق الأمر عنده إطلاقا بـ"قطيعة معرفية" مع الموروث الكلامي، بل على العكس من ذلك تماما فالأمر عنده "استمرار وتواصل واستئناف معرفي"، حيث يقول بهذا الصدد: "إن علم الكلام الذي نقصد إلى تأليفه مهما كان منهجه وأسلوبه، لابد ألاَّ يحيد عمّا قرره كبار السلف من الأصول والقواعد خاصة"[4].

فمع الموروث الكلامي، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما يشهده العالم الإسلامي في العصر الحديث من تحديات وملابسات ظرفية تواجه العقيدة الإسلامية بفعل الغزو الثقافي الغربي، وبما أن المسائل المطروحة اليوم تختلف في بعضها عن القضايا القديمة التي واجهت علم الكلام القديم، فقد سعى شبلي النعماني إلى تقديم العقيدة الإسلامية بلغة وأسلوب تستوعبه الأفهام بسرعة ويستقر

[1]- المصدر نفسه، ص 181-182.

[2]- علي محمود العمري: "الكلام بين قديمه وجديده مقاربة منهجية"، مجلة نماء، العدد 4،5، خريف 2017م، شتاء 2018م،

[3]- محمد أكرم النّدوي، شبلي النعماني، ص 44.

[4]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص16.

في القلوب. كما أنّه حاول فيما حاول تجاوز الأسلوب والطريقة والمنهج السجالي المعقّد إلى حد ما الذي ميّز خاصة علم الكلام في القرون الأخيرة، والالتفات إلى نوع من التوظيف لنتائج العلم الحديث في تحرير قضايا العقيدة والذي كان له سطوة كبيرة على عقول معاصريه. يقول النعماني: " أهمّ الأشياء الضّرورية أن تُقدّم مثل هذه الدّلائل والبراهين بأسلوب بسيط وواضح تستوعبه الأفهام بسرعة ويستقرّ في القلب، فقد كان يُستخدم في المنهج القديم مُقدّمات معقّدة ومتشابكة، ومصطلحات منطقيّة وأفكار دقيقة وحسّاسة جدّا، كان المخالف يصمت بعد أن يُصاب بالرّهبة، ولكن لا يوقر في قلبه حالة من الوجدان والإيمان"[1].

وهكذا جاءت دعوة شبلي النعماني إلى توسيع دائرة الدرس الكلامي بالالتفات إلى مسائل الشبهات الجديدة ومحاولة ربطها بأصولها التقليدية، لمواجهة تحديات العصر الحديث. وبناء عليه يمكن القول أن علم الكلام الجديد الذي كان النعماني يطمح إلى تأسيسه يهدف تحديدا إلى بناء منظومة كلامية جديدة تستوعب مجموعة من القضايا العلمية والأخلاقية والقانونية الجديدة المعاصرة تمثل تحديا بالنسبة للمسلمين على مستوى العقيدة الإسلامية. وبهذا الصدد سأكتفي هنا بمحاولة قراءة أهم المسائل الجديدة التي أدرجها النعماني في علم الكلام الجديد، كمسألة الدين في مواجهة العلم ومسألة الصلة بين الدين والحقوق الطبيعية للإنسان، حقوق المرأة، الإرث، الحضارة والتمدن، ودون عقد مقارنات أو مقاربات مع غيره من المهتمين بعلم الكلام الجديد لعدم اتساع حدود هذا المقال لذلك، وربما سأعود إليها في بحث آخر مستقل.

1. الدين في مواجهة العلم:

يعرض شبلي النعماني، انطلاقا من ظرفه التاريخي وحيثياته الواقعية التي عاشها، لمسألة أن الانفجار العلمي والمعرفي الكبير الذي عرفته أوروبا، يكون قد أثر تأثيرا كبيرا في الأجيال المسلمة الصاعدة التي اصطدمت بزخمه على تخوم حدود عقيدتها ودينها؛ حيث رأت في العلم منافسا أو معارضا قويا للعقيدة الإسلامية أو قل للدين الإسلامي ككل. وقد ابتنى هذا الفهم على مفهوم أساسي كرسّه العلم الأوروبي الحديث والفلسفة الوضعية في الغرب، وهو القول أنّ كل الأشياء القطعية واليقينية تعد مسائل قاصرة على العلم فقط دون سواه، لأنها تقوم على التجربة والمشاهدة ويشهد لها العقل بذلك، وأن مسائل الدين هي مسائل لا تقوم على التجربة والمشاهدة وتبدو غير معقولة، وبناء عليه فهي معرفة لا يقينية ولا قطعية والعلم لا يعترف ولا يسلم بها. وقد شاعت هذه الفكرة الأساسية وانتشرت عند المسلمين. ومما ابتنى عليها عندهم أن الدين لم يصبح له أي مكان أمام العلم الحديث[2].

أمام هذه المشكلة الطارئة الجديدة حاول شبلي النعماني أن يجيب عنها بتفكيكها ونقدها على عدة مستويات:

– **المستوى الأول:** في حدود المعرفة العلمية وحدود المعرفة الدينية، وذلك من خلال طرح الإشكال الآتي: ما هي حدود العلم وما هي حدود الدين؟ ما علاقة الدين بالعلم؟ حيث يجيب: العلم هو الأشياء التي يمكن إثباتها ونفيها ولا علاقة للدين بها قط، مثل ما وزن الهواء؟ ما سرعة الضوء؟ ما عدد طبقات الأرض؟ فهذه المسائل وغيرها من هذا النوع تعد من موضوعات العلم ولا علاقة لها بالدين، ويذهب إلى القول بأن بعض العلماء الأوروبيين يرون أن أسرار المادة التي يتم اكتشافها لا تؤدي إلى إنكار العقيدة في الله تعالى، بل هم يقولون أنّ إثبات هذه الغيبيات خارج عن نطاق أبحاثنا، فليس من سلطتهم إنكار وجود شيء أزلي أبدي، كما

[1]– المصدر السابق، ص182.

[2]– المصدر السابق، ص 182– 183.

أنه ليس من علمهم إثباته، فحدود العلم والدين منفصلة تماما عندهم. وإذاً فالموضوع الذي يتناوله العلم لا علاقة له بالدين، والأشياء التي يبحثها الدين لا مصلحة للعلم فيها[1].

– **المستوى الثاني:** في تنوع واختلاف المدارس الفلسفية الأوروبية، من منطلق أن بعضها لا يؤمن بالغيبيات إطلاقا وينكر وجود الله تعالى تماما، وبعضها الآخر يقرّ بكينونة الغيبيات ويؤمن بوجود الروح، إضافة إلى أن الأصول الأخلاقية المبنية على العقيدة الدينية تتضارب هي الأخرى فيها الآراء بين مثبت ونافٍ بين المدارس الفلسفية الغربية. وبناء على ذلك فإن الدين في ظل هذا التجاذب الفلسفي الغربي الذي لا يستقر على حال، يبقى في مأمن من أن يلحقه النقص أو الضرر من هذه الناحية[2].

– **المستوى الثالث:** في تقريره أن وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأساسية هي هداية البشر وليس البحث في علوم الطبيعة، وأنهم لم يهتموا بما يخرج عن تهذيب النفس وسياسة الأمة، وإن تكلموا عن الوقائع التاريخية والآيات الكونية فعلى سبيل التذكير بآلاء الله تعالى ونعمه، والتذكير بأيامه وتوجيه النظر إلى آياته وأن موافقتها للوجود الإنساني لم تأت اعتباطا. ومن هنا فإنه حتى وإن وقع بعض علماء الشريعة في تناولهم لبعض المسائل العلمية أثناء تفسيرهم لبعض النصوص القرآنية الكريمة في أخطاء، فإن ذلك لا يمكن أن يخلّ بدين الله تعالى بأي وجه من الوجوه[3].

– **المستوى الرابع:** في إعادة إثارته للموقف الأوروبي عموما من الدين في عصر النهضة؛ حيث يرى أن أوروبا كانت تؤمن بالدين ولكنها كانت تنكر العلم في الوقت نفسه، وهو الموقف مقلوبا ومعكوساً في العصر الحديث حيث أصبحت تؤمن بالعلم وتنكر الدين. لينتهي من خلال ذلك إلى نتيجة مفادها أنه كلما تجاوز كل من الدين والعلم حده يتراجع حد الآخر، وهو الأمر الذي أفضى إلى شيوع أفكار الإلحاد في العصر الحديث، كما شاع في القرون الوسطى اتهام القساوسة جميع أنواع الاكتشافات والاختراعات العلمية بالكفر والردة عن الإيمان[4].

– **المستوى الخامس:** إيراد النعماني لجملة من آراء وأقوال الفلاسفة والعلماء الأوروبيين التي تنهض على القول بأن الدين أو قل نور الإيمان حقيقة فطرية في الإنسان، وأن نور هذه الحقيقة لم يخبو في أي مكان وفي أي وقت من الأوقات في حياة الإنسان[5].

– **المستوى السادس:** يلح النعماني على مسألة أن القرآن الكريم تظهر علاقته بالعلم في دعوته إلى إعمال العقل في مثل قوله تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأعراف:185]، وقوله جلّ وتعالى:﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ**﴾[الأعراف:179]، وقوله عزّ وجلّ:﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[يوسف:105]. فهذه الآيات الكريمات وغيرها كثير في القرآن الكريم فضلا عن السنة النبوية، هي في، رأي

[1]– المصدر السابق، ص 183– 185.
[2]– المصدر السابق، ص 185–186.
[3]– المصدر السابق، ص 188.
[4]– المصدر السابق، ص 186–187.
[5]– المصدر السابق، ص 191–192.

النعماني، دليل واضح أشد ما يكون الوضوح على أن تعاليم الإسلام كلها سواء العقدية منها أو التشريعية قائمة على أساس العقل[1].

لقد أراد النعماني، في إطار هذه المستويات الستة التي حاول أن يشتغل عليها في تحليله وتفكيكه لعلاقة الدين بالعلم، أن يبيّن أن الاعتراف بوجود الله تعالى والرغبة في العبادة وفكرة المعاد والتيقن من الجزاء والعقاب والاعتراف بالنبوة هي من اللوازم البشرية التي لها مكانة مركزية في الوجود الإنساني[2]. ولينتهي إلى أن الكمال والسمو الذي يجده الدارس لعقائد الإسلام وعباداته وأخلاقه وتشريعاته لا يمكن أن يخطر أو يَرِد على فكر أي فيلسوف أو مقنن، باختصار إنه الوحي الإلهي[3]. وبناء عليه فلا خطر إطلاقا على العقيدة الإسلامية من تطور العلم.

2. علاقة الدين بحقوق الإنسان:

لقد أدرك الشيخ شبلي النعماني مبكرا أن قضية حقوق الإنسان تعد فعلاً من المسائل الجوهرية والتحديات الكبرى التي واجهت العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، وأنه كان من الضروري جداً التصدي لها درساً ونقداً في إطار العلم الذي يدرس هذه العقيدة، ألا وهو علم الكلام بالذات، وأن الجواب عن هذه المسائل الحقوقية والاجتماعية لا بد أن يتولى علم الكلام ابتداء القول فيها حتى وإن لم يتناولها الكلام القديم كمسائل جوهرية فيه. وكما نلاحظ فإن هذا الفهم يعتبر بحق استئنافا تجديديا فعليا لعلم الكلام.

وقد بيّن شبلي النعماني أن الإسلام راعى أداء هذه الحقوق وحدد لها ترتيبا خاصا كلّ حسب منزلته ومكانته، وهذا ما انفرد به عن بقية الملل والنحل والمذاهب الفلسفية المختلفة. ومن أبرز القيم الإنسانية التي تتأسس عليها رعاية حقوق الإنسان التي تناولها شبلي النعماني ضمن مسائله الجديدة لعلم الكلام، نجد حق الإنسان على نفسه، حقوق الأولاد، الحقوق العامة للناس، وهي كالآتي:

1.2. حق الإنسان على نفسه:

اعتبر شبلي النعماني أن حق الإنسان على نفسه مسألة مركزية تتعلق بهذه الحقوق وتعتبر من أولى الأولويات فيها، فالإنسان يملك نفسه بنفسه، فمن خلال استقراء التاريخ نجدها مسألة مسلّم بها في مختلف أنحاء العالم، ولكن الأمر المستهجن فيها أنه من خلالها كان يعتقد أن الانتحار ليس جرماً. إلا أننا في مقابل ذلك، نجد كيف أن القرآن الكريم كشف عن هذه المسألة وحدد زيف مفهوم أن "الإنسان يملك نفسه بنفسه" وذلك ابتداء من حيث تحريمه قتل الإنسان لنفسه، قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾[النساء: 29][4]، ومن هنا فقد منع الانتحار. وهنا نلاحظ كيف جاءت عقيدة الإسلام في فهم هذا الحق مقارنة مع غيرها من العقائد والمذاهب البشرية، كاشفة لخطأ تلك المذاهب والعقائد ومؤكدة على هذا الحق بإعطائه مفهوما إنسانيا أعمقا في إطار عقيدة التوحيد بعيدا عن كل سطحية في تقريره والتعامل معه.

---

[1]- المصدر السابق، ص 198.

[2]- المصدر السابق، ص 194.

[3]- المصدر السابق، ص 279.

[4]- المصدر السابق، ص 291.

2.2. حقوق الأولاد:

ومما يترتب على هذه المسألة، كما يرى شبلي النعماني، حقوق الأولاد من منطلق أن الإنسان وكما رأى أنه يملك نفسه بنفسه، فقد نظر إلى أولاده كوجود ثان له، ومن هنا فهو يفكر في أولاده كما يفكر في نفسه، أي كما يملك نفسه بنفسه فهو يملك أولاده أيضا. وبناء على هذا الأساس ظهرت قضية قتل الأولاد في أشكال مختلفة عند مختلف الشعوب. ويذهب النعماني، من حيث التأسيس الكلامي لهذه القضية، إلى أن أوّل حق للأبناء على الوالدين، من الناحية العقدية ابتداء هو الحياة، وبما أن الله تعالى قد منح الأولاد الحياة في أصل وجودهم فيجب على الآباء أن لا يكونوا سببا على الإطلاق في محو هذه الحياة وانتكاستها، ليس هذا فحسب بل يجب عليهم أن يهيئوا لهم كلّ سبيل إلى التطور والنمو الحياتي لتكميل وجودهم المادي في هذه الحياة الدنيا كلّ حسب استطاعته ومقدرته. وفي هذا المجال، ولهذا السبب نجد أن الإسلام حرم سقط الجنين عمدا عند الحمل، كما أنه حرم قتل الأبناء بعد الميلاد واعتبره أمرا من أمور الجاهلية"[1]. وقد كان القرآن الكريم أوَّل من استأصل هذا الظلم والجور قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ**﴾[الأنعام:151][2].

3.2. حقوق المرأة:

أعطى شبلي النعماني اهتماما ملحوظا لقضية حقوق المرأة في الإسلام وناقشها كمبحث من مباحث علم الكلام الجديد. ويبدو أن هذا الاهتمام الذي أبداه بحقوق المرأة يعود إلى سببين اثنين: **أولهما**: ما أثاره كتّاب أوربا من المستشرقين وغيرهم من شبهات حول ظلم الإسلام للمرأة وتوجيه اللّوم للإسلام على تخلف المرأة عن ركب الحياة والحضارة[3]. **ثانيهما**: ما واجهته المرأة المسلمة في الهند خاصة والعالم الإسلام عامة من نظرة مبتورة إليها في مستويين مختلفين: إما الحرمان التام من التعليم وسائر حقوقها رضوخا للكثير من العادات الاجتماعية، أو دعوة المرأة المسلمة صراحة إلى تقليد المرأة الأوروبية وخلع حجابها واقتفاء أثرها في افتكاك حقوقها[4]. فجاء طرحه لحقوق المرأة: حريتها ومكانتها وتحلّيها بالثقافة والتعليم وغيرها في إطار مناقشة ومدارسة حقوق الإنسان عامة، مستمداً من القرآن الكريم والسنّة النّبوية، مستنداً إلى الدلائل والشواهد التاريخية في الحضارة الإسلامية.

ومن المسائل التي عالجها شبلي في سياق مطارحته لحقوق المرأة:

1.3.2. مسألة المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة:

يذهب شبلي النعماني إلى أنَّ المرأة تمثّل نصف البشرية وأن الحقوق التي منحها لها الإسلام هي حقوق منصفة ومتفردة ومتميّزة عن جميع الحقوق التي تحدثت عنها القوانين والتشريعات التي عرفتها البشرية، حيث يقول: "وقد صيغت آلاف القوانين في مختلف أنحاء

---

[1]- شبلي النعماني، دائرة معارف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج6، ص123.

[2]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص 292.

[3]- المصدر نفسه، ص294.

[4]- كليم صفات الإصلاحي: "قضايا المرأة وكيف عالجها العلامة شبلي النعماني"، مجلة الهند، الجزء الثاني للعدد الخاص بمناسبة مرور مئة عام على وفاة العلامة شبلي النعماني، م 4، عدد 3-4، تصدر عن: مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور ، بنغال الغربية، يوليو-ديسمبر 2015، ص 222-223.

العالم حول حقوقها، ولكن من الأمور العجيبة أن المرأة لم تجد الإنصاف في حقوقها حتى ذلك الوقت الذي لم يكن الإسلام قد أظل الدنيا بظله"[1].

وفي هذا المجال يشير شبلي النعماني إلى أن القرآن الكريم بيَّن لنا قبل كل شيء الأساس النوعي للعلاقة التي بين الرجل والمرأة، والذي هو أساس فطري بالدرجة الأولى، وأن "المرأة هي الجزء الأكبر من النظام الاجتماعي الإنساني، وهي راحة للرجل وطمأنينة له، حيث يقول تعالى:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الروم:21]"[2]. ويحيل شبلي دائماً وباستمرار إلى نص القرآن الكريم، الذي يرى أنه بعد أن أبان عن هذه الحقيقة الفطرية في العلاقة بينهما، "أثبت بأساليب مختلفة أن الرجل والمرأة رفيقين يتساويان في المنزلة كلاهما يحتاج إلى الآخر وأن حقوقهما، ومكانتهما، وعلاقتهما على قدم المساواة. قال تعالى:﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾[البقرة:187]. وقال تعالى:﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ**﴾[البقرة:228]"[3].

2.3.2. مسألة الطلاق:

وفي أساس حقوق العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، يؤكد النعماني على أن الإسلام أوجب أن تكون قائمة على المحبة والملاطفة والمساواة مع النساء في الحياة اليومية، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بكلمات جامعة، فقال تعالى:﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[النساء:19]. إلا أن هذه العلاقة قد لا تستمر وتنكسر، فيأتي "الطلاق"، ويكون بذلك من المسائل الأساسية التي تتعلق بحقوق المرأة.

في الواقع لقد أثار وناقش شبلي النعماني هذه المسألة وعدّها من المسائل المهمّة والحسّاسة، وهي مسألة لها خطورتها وصعوبتها في العلاقة بين الزوج وزوجته. حيث يذهب إلى القول أنّ جميع شعوب العالم اختارت جوانب مختلفة ومتعددة في التعامل مع هذه المسألة ولكنها جميعا أخطأت المسار الصواب، سواء قديما أو حتى في العصر الحاضر، حتى أنّه انعدمت فوائد الزواج وأهدافه كليا عند بعض الشعوب كالأوروبيين[4]. ويؤكد شبلي النعماني أن حاصل القول فيها، استنادا إلى استقراء أحكام التشريع فيها، أنه ليس بإمكان أي فيلسوف أو مقنن أن يشرع قانونا منصفا للمرأة أفضل من هذا، وأننا لا يمكن أن نجد في أي دين آخر غير الإسلام مثل هذا التراحم والاهتمام[5].

وممَّا سبق يمكن القول أنّ قضية المرأة تعتبر تحدّيا حقيقيا واجه الإسلام كعقيدة وكشريعة في العصر الحديث بفعل التيارات والمذاهب الفكرية المنحرفة، التي أرادت تشكيك المرأة المسلمة في دينها وعزلها عن بيئتها الشرعية. فباتت، بذلك قضية المرأة من المسائل التي احتضنها علم الكلام الجديد، فناقش النعماني في إطاره الشبهات المثارة حولها كالمساواة بينها وبين الرجل وظلم المرأة والتعليم

[1]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص292.
[2]- المصدر نفسه، ص294.
[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4]- المصدر السابق، ص296.
[5]- المصدر السابق، ص299.

وغيرها. وقد أكّد من خلال ذلك على أنّ الوجود الحقيقي للمرأة ومكانتها الطبيعية وتحررها التام والكامل بوصفها إنسانا مكتمل الأهلية والحقوق لم يحدث إلا في ظل العقيدة الإسلامية.

3.3.2.مسألة الإرث:

ومن المسائل التي تتبع فيما تتبع مسألة حقوق المرأة، مسألة الإرث، والتي حاول من خلالها المغرضون التشكيك في المصدرية الإلهية للعقيدة الإسلامية، سواء مستشرقين كانوا أو غيرهم. وقد رآها شبلي النعماني من التحديات التي يجب أن يجيب عليها علم الكلام الجديد، حتى وإن كانت مسألة تلحق بالفقه أساسا.

وفي هذا الإطار يذهب العلامة شبلي إلى القول أنّ قانون الوارثة هو من القوانين المختلف عليها بين شعوب العالم ويلحقها الكثير من عدم الإنصاف والعدل عندهم. كما يرى أن المتأمل في الأصول التي يجب أن يبتنى عليها قانون الوراثة طبقا لأصول الفطرة البشرية والحضارة الإنسانية، لا بد أن يعود إلى قواعد الميراث في الإسلام، ذلك لأن الإسلام "راعى فرق المراتب الدقيقة والحسّاسة حيث حدد مراتب أقارب الميت ودرجة هذه القرابة بدقة نظر متناهية، وقرر حصصا متفاوتة ومختلفة لهم"[1]. كما بيّن أنَّ الإسلام وحده تفرد بنظام متكامل لصيانة الحقوق والعدالة في توزيع الإرث لمنع الطغيان والقضاء على المشاكل التي يعاني منها العالم اليوم.

4.2. الحقوق العامة للناس:

ينطلق شبلي النعماني، في حديثه عن الحقوق العامة للناس، من مسألة أن القيم العامة التي جاء بها الإسلام مثل حسن الخلق والرحمة والكرم وغيرها هي قيم مشتركة دعت إليها جميع الأديان ولم يختص بها دين دون دين. وأنّ الشيء الذي يجب أن نركّز عليه البحث هنا، ليس هذا المشترك بالذات، ولكن محاولة الإجابة عن سؤال هام: ما هو سلوك أصحاب الديانات مع الآخر المخالف؟ ذلك هو معيار التفوق والمفاضلة الحقيقية بين الأديان والمذاهب والنحل[2].

وبعد أن يستعرض هذه الحقوق عند الهندوس والمجوس واليهود والنصارى وفي الإمبراطورية الرومانية والعرب قبل مجيء الإسلام، ينتهي إلى القول بأن مؤداها عموما عندهم أقرب إلى الحقد على الآخرين المخالفين في الدين، والتمييز في الجنس والقومية والتهميش التام لهم، وعدم الإحساس بالرحمة والشفقة اتجاههم. وفي مقابل ذلك يذهب النعماني إلى أن الإسلام "محا التمييز في الجنس والقومية تماما، فقد ساوى بين العرب وجميع شعوب الدنيا الذين دخلوا الإسلام مثل: الأفغان والأحباش والتتار والأتراك والهنود والإيرانيين، وبقدر ما تدعي أوروبا اليوم من حرية إلا أنها تفرق بين رعاياها والقوميات الأخرى ولم تستطع أن تمحو ذلك بأي طريقة"[3]. وقد تطرق إلى الحقوق العامة التي منحها الإسلام لغير المسلمين، الذين يقسّمهم إلى قسمين:

1.4.2.أهل الذمة والمعاهدون: وهم غير المسلمين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية. وقد أشار النعماني إلى أنه ناقش هذه المسألة مستقلة في كتابه "الجزية"، كما ألف كتابا آخر هو "حقوق الذميين" للرد على شبهات المستشرقين الذين زعموا بأنّ غير المسلمين لا يتمتعون بحقوق الحياة العامة في البلدان الإسلامية. وبيّن أنّ الحقوق التي يتمتع بها أهل الذمة قائمة على أسس العدل؛

[1]- المصدر السابق، ص300-301.

[2]- المصدر السابق، ص 301-302.

[3]- المصدر السابق، ص 302.

فقد ساوى الإسلام بين أهل الذمة والمسلمين من حيث الروح والمال والحرية والكرامة وجميع الحقوق الأخرى، كما بيّن أنّ أوروبا عاجزة عن تقديم أيّ مثال لهذا العدل السامي الذي يرفع الإسلام لواءه[1]، وأن هذه المساواة والأصول طبقت على عهد أبي بكر وعمر وغيرهم من الخلفاء رضي الله عنهم[2].

2.4.2.المحاربة: "وهم الذين ليس بينهم وبين المسلمين أي نوع من المعاهدات وتقوم بينهما حرب أو خصومة أو يمكن أن تقوم"[3]. وبهذا الصدد أشار شبلي النعماني إلى أن أحكام الإسلام في التعامل مع المحاربة تظهر بوضوح في قوله تعالى:﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الممتحنة:8-9]. فعقد الصداقة، كما يرى النعماني، مع الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يخرجوهم من بلادهم أو يساعدوا على إخراجهم، والإحسان إليهم وإسداء المعروف لهم ليس ممنوعا. كما يذهب إلى القول أنّه قد تبدو بعض الأديان أو الملل أكثر سخاء في الظاهر من هذا الذي قرره الإسلام، كما جاء في المسيحية "إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" ولكن في واقع الأمر ما هو إلا عبث سرعان ما ينكشف زيفه، لأن الفطرة الإنسانية تأبى ذلك. وبناء عليه فإن الإسلام تفوق على جميع الملل والنحل بفصله الحاسم بين الإفراط والتفريط وبكون أحكامه كلها جاء موافقة للفطرة البشرية[4].

فحقوق الإنسان في الإسلام إذن، كما طرحها شبلي النعماني، في إطار التأسيس لعلم الكلام الجديد، هي حقوق جاءت في توافق تام وانسجام ماهيوي كامل مع الفطرة البشرية، ولعلّ هذا الأمر يعد من أبرز الأمور التي حاول النعماني أن يركّز القول فيها خاصة في مساق وسياق الرد على شبهات المستشرقين حول التشريعات والقيم والقضايا الاجتماعية في الإسلام.

3. الحضارة والتّمدن:

يرى شبلي أنّ مسألة الحضارة والتّمدن هي من المعايير التي بسببها يقاس عليها صحة الدين، وأن المنكرين للدين ناصبوه العداء انطلاقا من هذا المعيار؛ ففي رأيهم أن جميع الأديان تقف عقبة كأداء أمام الترقي والتحضر الدنيوي[5]. وقد ناقش شبلي هذه المسألة في إطار تأسيسه لعلم الكلام الجديد، حيث ركّز على هذه القضية التي تتمثل أساسا في سؤال: هل الإسلام يمنع التحضّر ويحول دون الرقي؟ وحاول الإجابة عن هذا التساؤل بالقول أنّ الإسلام يحمل بداخله جميع أسباب الحضارة والرقي، وبيّن جملة من الأصول التي يقوم عليها التحضر في الإسلام وهي باختصار[6]:

---

[1]- المصدر السابق، ص 303.

[2]- أنظر: شبلي النعماني، سيرة الفاروق، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، (د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة 2000، ص 276.

[3]- شبلي النعماني، علم الكلام الجديد، ص303.

[4]- المصدر السابق، ص 303-304.

[5]- المصدر السابق ، ص341.

[6]- المصدر السابق، ص345 وما بعدها.

1.3. تكريم الله تعالى للإنسان وتسخير الكون له، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[الإسراء:70].

2.3. إيمان الإنسان بأن رقيّه وتخلفه رهن لسعيه وجهده. قال تعالى:﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الأنفال:53]. وأكد شبلي النعماني على أن هذا الأصل لا يتناقض مع أصل آخر قرره القرآن الكريم وهو عقيدة القضاء والقدر[1].

3.3. المساواة: أصل حضاري قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[الحجرات:13][2].

4.3. التسامح الديني: يقول العلامة شبلي:"إن الإيمان والعقيدة هو ما وقر في القلب؛ ولهذا لا يمكن أن ينشأ أي إيمان في قلب أي شخص بالقوة والإكراه، ولهذا فإن الإكراه في الدين لا فائدة ترجي منه أبدا. ولكن هذه الفكرة لم تستوعبها أفهام الدنيا حتى ذلك الوقت مادام الإسلام لم يقل:﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[البقرة:256][3].

5.3. أداء حقوق المرأة والرجل بالتساوي[4].

6.3. مبدأ الشورى في الحكم قال تعالى:﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[آل عمران:159][5].

7.3. البناء المنهجي للمعرفة والعمل المؤسس على احترام مجالات التخصص والتعمق فيها، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾[التوبة: 122][6].

8.3. مراعاة المراتب المختلفة بين البشر لأنه يتساوق مع الفطرة البشرية،:﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾[الزخرف:32][7].

9.3. الاستزادة من طلب العلم، قال تعالى:﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه: 114][8].

إذاً حاول شبلي النعماني، من خلال ما سبق تبيانه، أن يركز على أهم المسائل التي رآها أساسية يمكن إضافتها إلى علم الكلام لتجديده وبعث روح الحياة فيه ليواكب العصر ويحدث نقلة نوعية في عرض العقيدة الإسلامية والدفاع عنها أمام التحديات المعاصرة.

---

[1]- المصدر السابق، ص346.

[2]- المصدر السابق، ص347-348.

[3]- المصدر السابق، ص351.

[4]- المصدر السابق، ص352.

[5]- المصدر السابق، ص354.

[6]- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[7]- المصدر السابق، ص355.

[8]- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

خاتمة:

نخلص مما سبق، وكمحاولة للإجابة عن الإشكالية المركزية للبحث والتي تمثلت في التساؤل عن مسار التقليد واستئناف التجديد في علم الكلام عند شبلي النعماني، إلى أن الرؤية التجديدية لعلم الكلام عند شبلي النعماني تطمح إلى بناء منظومة كلامية جديدة تستوعب مجموعة من القضايا العلمية والأخلاقية والقانونية والحضارية المعاصرة تمثل تحديا بالنسبة للمسلمين. وأن علم الكلام الجديد عنده لا يتعلق بـ"قطيعة معرفية" مع الموروث الكلامي التقليدي، وإنما هو استمرار وتواصل معه وأيضا استئناف وتجديد له. وبناء عليه فالرؤية التجديدية عنده تتسم بالترابط والشمول، أي أنه حرص على أن يكون علم الكلام مرتبطا بجميع جوانب الدين الأخرى من عبادة وأخلاق وجهاد وسياسة واقتصاد وأحوال شخصية وغيرها، شاملا لجميع مناحي الحياة، حتى يحقق هذا الترابط والشمول مقاصد التجديد وغاياته الأساسية، ومن شأنه إعادة بعث وإحياء علم الكلام ليكون أحد ركائز البناء الحضاري الإسلامي، ويرسم ما ينبغي أن يكون عليه الكلام في مختلف المجالات.

وفي إطار هذه الإجابة الكلية عن الإشكالية يمكن أن نشير إلى بعض النتائج الجزئية والتي تتمثل فيما يلي:

1. تأتي محاولة شبلي النعماني هذه لتعلن صراحة عن استئناف النظر في علم الكلام برؤية تجديدية في إطار قراءة واعية للواقع الفكري والراهن الحضاري الذي يعيش فيه المسلمون.

2. تتحدد منطلقات تجديد علم الكلام ومبرراته عند شبلي النعماني من محاولة استيعاب قضايا العصر ومستجداته ليتمكن علم الكلام من التعامل معها انطلاقا من خصائص هذا الدين الذي تؤهله للقيام بذلك؛ فالتغيرات الهائلة في الحياة المعاصرة في مجالات كثيرة، وتراكم العديد من المعالجات الكلامية الخاطئة، والتي أصبحت عاجزة عن تلبية حاجيات الإنسان الحديث، فضلا عن الشبهات الوافدة والحاقدة على الإسلام وأهله، كل هذا يتطلب تجديد علم الكلام.

3. حاول شبلي النّعماني فعلاً في عمله على تجديد علم الكلام ألا يكتفي بالمباحث التقليدية في علم العقيدة وأن يلتفت إلى الجوانب التاريخيّة والأخلاقيّة والحضاريّة، وتحديد علائقها بهذا العلم، حيث أدرج مسائل جديدة فيه مثل: حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، والحضارة والتمدن، بجوار مباحث وجود الباري تعالى، والنبوة، والمعاد، والتأويل والغيبيات والسمعيات، كالملائكة والوحي وغيرها والعلاقة بين الدين والدنيا.

قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

– الجوهري،(إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984م، ج2، ص454.

– حب الله، (حيدر): "علم الكلام الجديد قراءة أولية"، ضمن كتاب، علم الكلام ضرورات النهضة ودواعي التجديد، ط1، بيروت، مجلة الحياة الطيبة 2004م.

– حسنة، (عمر عبيد)، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي 1988، ص20.

– حسنة، (عمر عبيد)، رؤية في منهجية التغيير، ط1، بيروت– دمشق، المكتب الإسلامي 1414هـ-1994م.

– ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي، ط3، دار نهضة مصر (د.ت).

– أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة، حديث رقم4291، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، دمشق، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م، ج4، ص106.

– الرفاعي، (عبد الجبار)، علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين 2016.

– سعيد، (بسطامي محمد)، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، ط2، 2012، ص 14.

– عمارة، (محمد): "الاجتهاد الكلامي، حوار مع الدكتور محمد عمارة"، ضمن كتاب، عبد الجبار الرفاعي، مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، (د.ط)، بيروت، دار الهادي، (د.ت).

– القرضاوي، (يوسف)، من أجل صحوة راشدة، ط1، القاهرة، دار الشروق 2001.

– المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية 1422هـ-2001م، ج2، ص357، هامش رقم1.

– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج3، ص111.

– المودودي، (أبو الأعلى)، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ط2، بيروت، دار الفكر الحديث 1967، ص13.

– النّدوي، (محمد أكرم)، شبلي النعماني علاّمة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب، ط1، دمشق، دار القلم،1422هـ/ 2001م.

– النعماني، (شبلي)، دائرة معارف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة: يوسف عامر، (د.ط)، (د،ت).

– النعماني، (شبلي)، سيرة الفاروق، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، (د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة 2000.

– النعماني، (شبلي)، علم الكلام الجديد، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة 2012م.

- **المقالات:**

– الإصلاحي، (كليم صفات):"قضايا المرأة وكيف عالجها العلامة شبلي النعماني"، مجلة الهند، الجزء الثاني للعدد الخاص بمناسبة مرور مئة عام على وفاة العلامة شبلي النعماني، م 4، عدد 3-4، تصدر عن: مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور ، بنغال الغربية، يوليو-ديسمبر 2015.

– الأعظمي، (صاحب عالم):"دراسة موقف شبلي النعماني من المستشرقين في ضوء كتابه: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم"، مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها، عدد 45، 1422هـ، الشركة السعودية للتوزيع.

– الصديقي، (ظفر أحمد):"العلامة شبلي ومساهمته في نشر علم الكلام"، مجلة الهند، الجزء الأول للعدد الخاص بمناسبة مرور مئة عام على وفاة العلامة شبلي النعماني، مج3، الأعداد:1-4، يناير-ديسمبر 2014م، تصدر عن: مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية.
– العمري، (علي محمود): "الكلام بين قديمه وجديده مقاربة منهجية"، مجلة نماء، العدد 4،5، خريف 2017م، شتاء 2018م،
– العمري، (محمد خير حسن): "علم الكلام بين الأصالة والتجديد"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 3/أ، 1430هـ-2009م.
– مطالقة، (أحلام) وآخرون: "تحديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 28، العدد5، 2014.

- **المداخلات**:

– الجلي، (أحمد): "التطور والتجديد في دراسات العقيدة الإسلامية"، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي،12-14 ربيع الثاني 1422هـ/3-5 جويلية 2001، جامعة اليرموك، إربد-الأردن 1425هـ/2004، ص208.
– عويضة (محمد): "التجديد في مجال الدراسات الحديثية"، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي،12-14 ربيع الثاني 1422هـ/3-5 جويلية 2001، إربد جامعة اليرموك 1425هـ/2004، ص130.

- **مواقع الانترنيت**:

– الشيرواني، (رياض الرحمن): "العلامة شبلي النعماني-لمحة عن حياته ودراسة لخدماته"، مقال ترجمه من الأردية: أورنك زيب الأعظمي، نشر في موقع " نداء الهند" في 2017/05. تم تصفحه: يوم 2020/11/27، الساعة: 22:21. .www.nidaulhind.com/2017/05/shiblee.html
– الرفاعي، (عبد الجبار): "علم الكلام الجديد وإشكالية التسمية"، موقع حفريات، نشر يوم 08/ 09/ 2019، https://www.hafryat.com
– الرفاعي، (عبد الجبار): "ما نعنيه بالكلام الجديد والمتكلم الجديد"، محاضرة في: "سمينار" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة يوم الأربعاء 4 نوفمبر 2020. Dohainstitue.org/ar/events/pages/Abduljabbar-Alrifai-Lecture-in-Arab-centre-seminer.aspx.